مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا المجلد: 04 العدد: 02 سبتمبر 2021 ص ص: 805-815
ر ت م د (ISSN): 2602-618X /ر ت م د إ (E-ISSN): 2710-8031

توظيف الصّور في كتابة التاريخ (الصّورة الكاريكاتيرية أ نموذجا)

Using the images in writing history (caricature as a model).

بختة ختال[1]♦، عمّارة كحلي [2]

[1]bakhta.khettal.etu@univ-mosta.dz ،جامعة عبد الحميد بن باديس

[2]ammara.kahli@univ-mosta.dz ،جامعة عبد الحميد بن باديس

مختبر الجماليات البصريّة في الممارسات الفنيّة الجزائريّة

تاريخ الإرسال: 2021/05/31	تاريخ القبول: 2021/08/03	تاريخ النشر: 2021/09/30

الملخص باللغة العربية: شهدت الصّورة حضورا من البدايات الأولى لفنّ الرسم، وذلك في المناطق الجبلية الواقعة بشمال اسبانيا والصحراء الكبرى وما تضمه من رسومات الطاسيلي وغيرها من الكهوف التي تحمل جدرانها تفاصيل حياة الإنسان الأول عبر رسومات بسيطة رمزية حينا ومسرفة في التفاصيل والدقة حينا آخر.

تطرح هذه الورقة البحثية أهميّة الصّور الكاريكاتيرية كوثيقة أرشيفية، ومصدرا من مصادر المعلومات، وذلك من خلال التركيز على خصائصها المتفردة، مما يستوجب استدعاء أساليب للمعالجة الفنية والوصف والتكشيف، والتحليل الموضوعي، التي تفرضها طبيعتها المركبة الحاملة لطابعي محاكاة الواقع والسخرية الناقدة. إذ ترصد الورقة عينات عشوائية من تاريخ الكاريكاتير العالمي والعربي والّتي حملت في طياتها تحولات في الأوضاع السياسيّة والاجتماعيّة في فترات معينة من التاريخ.

الكلمات المفتاحية: الصّورة؛ الكاريكاتير؛ وثيقة أرشيف؛ التحليل الموضوعي.

Abstract: The image witnessed a presence from the first beginnings of the art of painting, in the mountainous regions of northern Spain and the Sahara Desert, and the drawings it contains from Tassili and other caves whose walls bear details of the first human life. Through simple drawings that are symbolic and extravagant in detail and accuracy at another time.

The research paper highlights the importance of caricatures as an archive document and a source of information, by focusing on their unique characteristics, which requires the use of technical methods of processing, description, indexing and objective analysis imposed by their complex nature that bears the characteristics of simulating reality and decisive paradox. The paper also monitors random samples of the global and Arab history of caricature, which brought with it changes in the political and social conditions for that period.

♦ بختة ختال

Keywords: image; Caricature; Archive document; Objective analysis.

مقدمة: تعد الوثائق الأرشيفية من الأوعيّة المعلوماتيّة الّتي تهتم مؤسسات الأرشيف بالحفاظ عليها، لتسهيل عمليات الاسترجاع، وذلك لما لها من أهمية تاريخيّة وقانونيّة ومالية، وتأخذ هذه الوثائق أشكالا متعددة كالنصّوص والصّور الفوتوغرافيّة، الكاريكاتيريّة، لوحات تشكيليّة، صّور نصوص، والمخططات والخرائط منها الورقيّة والالكترونيّة، و أشكال الوسائط (الأقراص المضغوطة، الأفلام...)[1].

لذا ينطلق حديثنا من"الصّورة باعتبارها دواما يقبل التعرف ولا يقبل الإنكار(...) فما كان صورة سيظل كذلك على امتداد القرون(إلاّ في حالة التدمير المادي) "[2]، ومن هنا تعد الصّورة عموما والكاريكاتيرية خصوصا من أهم أشكال الوثائق التاريخيّة، والّتي تدخل ضمن الوثائق المصّغرةMicro Documents .

الصّورة الكاريكاتيرية ليست للضحك وإنّما هي قراءة الواقع بمنظور ساخر، الّذي ستتحول وقائعه إلى تاريخ فيما بعد، شاهدا على العصر، إذ تتخطى الحدود الجغرافية وعوامل اللّغة، ففي العصر الحالي أصبحت الصّورة تشّكل حضارة يمكن أن نقول عنها (حضارة الصّورة)، من هنا وظّف للكاريكاتير لينفذ إلى المتلقيّ بسلاسة لغتّه الّتي استحوذت على طاقة البصر، وعلى ضوء هذا تُطرح الإشكالية التاليّة:

- **كيف يمكن توظيف الصّورة الكاريكاتيرية في كتابة التاريخ ؟**

ويندرج تحت هذه الإشكالية تساؤلات فرعية تكمن في: ما هي الصّورة الكاريكاتيريّة ؟ ما أهميتها كوثائق أرشيفيّة ؟ فيما يكمن الاختلاف في التحليل الموضوعيّ للصّور الكاريكاتيريّة عن النصّوص ؟

وللإجابة على هذه التساؤلات اتبعنا في ذلك المنهج الوصفي والتاريخي في تقفي تاريخ الصّور الكاريكاتيريّة المختارة لهذه الدراسة. وتهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على أهمية الصّورة الكاريكاتيريّة كوثيقة أرشيفيّة، وذلك بتحديد خصائصها الّتي تميزها عن بقية الأنواع، وكيفية التعامل معها وقراءتها.

1.**مفهوم التاريخ:** التاريخ هو"دراسة لحركة المجتمع من شكل معين إلى شكل آخر، نتيجة ما يلحق ببنيته الأساسية من تغير ينعكس على بنيته الفوقية وتلك وظيفة التاريخ، فهو يتتبع عمليّة التطور فى المجتمع، فيرصد التغيرات الكمية فى البنيّة الاقتصاديّة وما يترتب عليها من تغيرات على البنية الاجتماعيّة، وما يفرزه هذا التغير من آثار على البنية السياسيّة وعلى الأفكار. وبعبارة أخرى يُعالج التاريخ المجتمع باعتباره كائنًا عضويًا يتغير من حال إلى حال نتيجة عوامل موضوعية"[3]، ودائماً ما كانت وقائع وحقائق التاريخ، محل جدل. إذ يكتب التاريخ بناء على رؤى مختلفة منها، دينيّة و إيديولوجيّة و عرقيّة و سياسيّة وحتى ثقافية. حيث لا يخفى على المتخصّصين أنّ المُتَغَلِّبَ حريصٌ على تقدّيم الأحداث ضمن إطار مصالحه" فالتاريخ يكتبه المنتصرون"[4]. ومن ثمَّ، فإنّ أجزاء معتبرة من التاريخ الّذي بين أيدينا لا يخلو من

---

1 الحويج محمد عبد المجيد، الوثائق مفهومها أنواعها وتقسيماتها، وأهميتها في البحث العلمي، مجلة كلية الآداب، جامعة الزاوية، العدد التاسع والعشرون، الجزء الثاني، يونيو 2020، ص 206.

2 دوبري ريجيس، حياة الصّورة وموتها، تر:فريد الزاهي، إفريقيا الشرق، ط2، المغرب، 2013، ص32.

3 البسفي محمد، من يكتب التاريخ، الحوار المتمدن، العدد 6594، تاريخ التصفح:2021/05/12، على الساعة: 14.00.
https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=681395

4 السعداوي نوال، امرأة تحدق في الشمس، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2018، ص101.

المغالطات، ولا تقف الأمور هنا، إذ أنّ اللعب بالحقائق التاريخيّة لا يقتصر على لحظة التدوين، بل يتعداه، إلى ما يسمى ب"إعادة كتابة التاريخ". وهو بمثابة "تبييض" سواد صفحات التاريخ .

2-الوثائق التاريخية: من المتعارف أن كلمة مصدر source تدل على المادة الّتي يستعملها المؤرخ لبناء المعرفة التاريخيّة ويعود ذلك إلى" توسيديد" Thucydide (460-400) الّذي أعلن عن مصادره في كتابه تاريخ الحروب البيلوبويزية، أما إخباريو العصر الوسيط فلم يهتموا بإثبات مصادر أخبارهم، بخلاف الرهبان الّذين احتفظوا بالمخطوطات والمواثيق[5]، ومع حلول القرن 16، شهد تأسيس مظان الوثائق Dépôts d'archivesمن طرف مختلف المؤسسات أو الدولة(...) وصارت في متناول الباحثين خاصة بعد الثورة الفرنسيّة، على أنّ هذه الثقافة التوثيقيّة بقيت مستقلة عن الإنتاج التاريخي إلى القرن التاسع عشر.[6]

1.2-أنواع الوثائق: تعد الوثائق على اختلاف أنواعها من أهم مصادر المعرفة والشاهد الأكبر على التاريخ، فهي من نفائس الذاكرة الحيّة للأمم، فلا تاريخ بدون وثائق، كما أنّها تمثل وديعة الأجيال الحاضرة إلى الأجيال اللاحقة. لذلك تعتبر الصّور بأنواعها (الثابتة والمتحركة) من بين الوثائق التاريخية الهامة.

وقد قسم **شلنبرغ** Schellenberg الوثائق[7] إلى مايلي: الوثائق النصيّة المخطوطة Textual، والرسومات والخرائطMaps et Prints، والوثائق التصويريّة Pictures. **3-مفهوم الصّورة:**

الصّورة هي نتاج محاولات الإنسان في التعبير عن ما اكتشفوه عن الكون، ومع تطور اللغات ووسائل التعبير عبر الزمن، بقيت الصّورة تبتكر أدوات جديدة لتأدية وظائفها منها: صناعة القيّم في الوعي الإنساني. و تحتفظ الصّورة-أيضا- بمكانتها كأول توثيق إبداعي تاريخيّ، فليست"حركية الصّورة والكلمة في نفس الطبيعة، وجهتهما ليست هي نفسها، فالكلمات تقذف بنا إلى الأمام، فيما ترمي بنا الصّورة في الخلف"[8].

فالصّورة هي تمثيل للواقع المرئي ذهنيا أو بصريا، أو إدراكا مباشر ا للعالم الخارجي الموضوعيّ، ويتسم هذا التمثيل بالتكثيف والاختزال، وبالتضخيم والمبالغة، ومن ثم، تكون علاقة الصّورة بالواقع علاقة محاكاة مباشرة، أو علاقة انعكاس، أو علاقة مفارقة ساخرة، الأمر الّذي خلق التباين في استخدام هذا المصطلح بعضها يرتبط بالصّور الإدراكيّة الخارجيّة أو الصّور العقليّة الداخلية، أو الصّور بالمعنى التقني أو الرقمي، فهي" تمنح معناها من النظرة الأولى، كما يمنح المكتوب معناه من القراءة، وهذا المعنى ليس

---

5 صهود محمد، مفهوم الوثيقة التاريخية بين المعرفة العالمة والمعرفة المدرسية، كلية علوم التربية، العدد 8، السلسلة الجديدة، دجنبر، المغرب، 2016، ص91 .

6 المرجع نفسه.

7 http://www.du.edu.eg/upFilesCenter/exStore/art/1577566343.pdf date d'entrèe : 7/04/2021, a l'heure : 16.30

8 دوبري ريجيس، حياة الصّورة وموتها، مرجع سابق، ص89.

تأمليا وإنّما هو عملي، كما أنّ تحليل النصوّص في نظام الكتب (كما يسميه **روجي شارتي**) قد ترك المجال لدراسة الممارسات القرائيّة، كذلك في مدينة الصّور"[9] . وقد قسمت إلى أنواع :

الصّورة الفوتوغرافيّة - الإشهاريّة- الرقميّة- السينمائيّة - الكاريكاتيريّة.

1.3--مفهوم الصّورة الكاريكاتيرية: ترى **الموسوعة العالمية** ncyclopaediaBritannica أنّ كلمة كاريكاتير مشتقة من "caricature" المؤنثة مشتقّة من الأصل الإيطالي"caricare" والّتي تعني باللّغة الانجليزية To Load، وأنّها اشتقّت من لفظة "cara" بالإسبانية الّتي تعني الوجه (Face)، وهو تعبير أكثر وضوحا عن الهجاء في الرّسومات واللّوحات والتّماثيل،كان مرتبطا طويلا مع مظاهر البشاعة، فهو رسم جريء يستخدم التّشويه الجسدي كمجاز لإظهار الفكرة، حيث تُسلَّط الأضواء على الأحداث الحقيقيّة والخياليّة، وعلى الأعراف وسلوك المجتمعات.[10]

أما **المعجم الإعلامي** يرى أنّ الكاريكاتير يحشو أو يقوم بإضافات إلى الواقع، وقد عُدَّ وجه الإنسان لدى أغلبية الرّسامين الكاريكاتيريّين نقطة انطلاق[11]، حيث استعمل الكاريكاتير بكل أنواعه وخصائصه في رصد واقع المجتمعات بشكل هزلي، في صور أرخت لثقافاتهم وأساليبهم في العيش وهمومهم اليومية في حالة السلم كما في حالة الحرب .

بصنف الكاريكاتير حسب وظائفه، كالسياسي والاجتماعي والفكاهي و كاريكاتير البورتريه ، وهو أكثر الأنواع حظا في الشيوع والانتشار[12]، ولعلّ السبب في ذلك أنّ موضوعه الشخص بذاته، فهو الكيان الموجود في الواقع ندركه بحواسنا بهيئته وأخلاقه وطبيعة حركته، وهذا يسهل على المشاهد المقارنة بين العمل الكاريكاتيريّ، والأصل الموضوعي الّذي يحاكيه، وهذا أيضا يعطي للمشاهد فرصة للتعرف على صفاته، لإثارة انفعاله بالسرور والضحك وحتى الاحتقار. ويقسم إلى كاريكاتير ودي ويخص الكتاب والفنانين، أما الاستفزازي فيخص الساسة ورجال الأعمال، وهذا النوع يؤرخ لشّخصيات من التاريخ، ويرى **الشعشاع** أنّ الكثير من الكاريكاتيريين برعوا في هذا النوع خاصة في العصر الذهبيّ للكاريكاتير، أمثال **فليبون** Philipon (1806-1861) برسمه لملك فرنسا [لويس فليب على شّكل حبة كمثرى](الشكّل:1)، **ورولاندسون** .T. Rowlandson (1756-1827)، وغيلراي. Gillray J(1757-1815)، كلاهما لاحق نابليون بونابرتNapoléon Bonaparte (1769-1821) برسوماته اللاذعة[13]، كما لم يخلو الكاريكاتير العربيّ من كاريكاتير الشّخصيّة وقد برع فيه السوري **حسن أدلبي**(الشّكل:2)، والجزائري **اوعراب الطيب** (الشّكل:3) الذي خلد زعماء إفريقيا وحركات التحرر من خلال أعماله في جريدة الجمهورية ومجلة أسيا إفريقيا.

الشّكل : (1) الشّكل: (2) الشّكل: (3)

---

9 دوبري ريجيس، حياة الصّورة وموتها، مرجع سايق، ص33.

10 EncyclopaediaBritannica ,volume 3 ,1768 ,p.909.

11 حجاب منير أحمد، المعجم الإعلامي، مصر، دار الفجر للنّشر و التّوزيع، ط 1، ص438.

12 المرجع نفسه.

13فهد الشعشاع طلال، فنّ الكاريكاتير (دراسة علميّة نظريّة وتطبيقيّة)، مؤسّسة الانتشار العربيّ ،ط1 ،2001 ، ص. ص.24-25.

source (1): https://www.sasapost.com/political-cartoons/,vu:2/5/21

(2): http://ecole-caricature.com/artistes/album/50,vu:2/5/21

(3):http://arab-tayeb.fr/algerie-1965-1978-la-republique-doran/

2.3-تصنيف وقراءة الصّورة الكاريكاتيريّة: يتم تصنيف الصّور الكاريكاتيرية كوثائق بناء على:

1-تفرد الصّور2- حالتها الماديّة 3-جودتها الفنيّة من حيث الوضوح (الضوء) 4- قيمتها المعلوماتيّة.

وقد ذكرت كورين جورقيزن Corinne Jorgensen في كتابها الموسوم ب" **استرجاع الصّورة، النظرية والبحث(2003)**"، أنّ أحد أبرز العقبات الّتي تواجه الباحثين في استرجاع الصّور، أنّنا لا نعرف كيف يرى الناس الصّور(...) بينما يوجد الكثير من النقاشات والدراسات حول مسألة التّذوق الجماليّ للوحات الفنيّة، لذلك يتفق الكثير على أنّ المعضلة الفكريّة في عملية إتاحة الصّور وكيفية تكشيفها[14]، وتكمن في الطبيعة البصريّة للمواد المسترجعة، فأحيانا لا تحمل الصّورة أي تعليق ولا تاريخ."فالصّورة ليس معطى جاهزا بريئا لكنهّا حمّالة أوجه مائعة، بإمكانها أن تقول في لحظة ما تعجز آلاف الألفاظ عن البوح به."[15] ، فتحليل الصّور بما فيها الكاريكاتيرية تعتمد على مستويين :

1-المستوى التعييني(الوصفي): وهو مستوى القراءة، الّذي يركز على الوصف الظاهري وهو الممكن للقراءة من طرف المتلقي.

2-المستوى التضميني: وهو ما يطلق عليه الوصف الرمزي، ويرتبط هنا بالسياق Contextمعتمدا على المخزون الثقافيّ للمتلقي أو القارئ، وعلى قدرته في التحليل.

ويسوقنا هذا الإطار التحليلي للصّورة إلى المؤرخ **ابن خلدون**(1332-1406)" الّذي ابتعد عن السرد التاريخيّ واقترب من التنظير التاريخيّ، وأقام بحثه على التمييز بين الظاهر والباطن في التاريخ."[16]، وهي مواصفات الصّور الكاريكاتيرية، الّتي تعتمد على الصريح والمضمر في ذات الوقت.

4- التأريخ بالكاريكاتير: إنّ الكاريكاتير هو كتاب تاريخ مفتوح. فحينما تنظر إلى الرسومات يتضح أسلوب الحياة والظروف الاجتماعية والتاريخية، فوجود الصحف لعرض تلك اللوحات العاكسة لرؤية المجتمع،

14 Corinne Jorgensen، Image Retrieval, Thoery and Resaerch، نقلا عن عبيد أحمد، التحليل الموضوعي للصور الصحفية .القاهرة :العربي للنشر والتوزيع، 2016، ص ص. 90 -91.

15 سعدية نعيمة، التحليل السيميائي والخطاب"، عالم الكتب، أربد، الأردن، 2016، ص 215.

16 هارف علي حسين ، فلسفة التاريخ في الدراما التاريخية، ط1، دار الكندي، الأردن، 2001، ص14.

حيث كانت بمثابة وسيلة الترفيه الّتي ينتظرها أبناء الأجيال الماضية حيث لم يكن هناك تلفزيون أو إنترنت، فكانت تلك الأعمال بمثابة منتجا ثقافيا، ومصدرا للترفيه و وسيلة لنشر الوعي.

عطفا على ما سبق، فانّ الكاريكاتير ارتبط بالأفراد والمجتمعات، بوصفه راصدا لدقائق اليوميّات، وكاشفا عن الواقع المختصر في خطوط وأشكال وشخصيّات، تعبئ فضاء العمل لكشف الحقائق وتعديل السّلوك، لأجل ذلك ذهب الكاتب **الشعشاع** إلى شرح مُقتضّب للكاريكاتير بأنّه فنّ التّصوير التّشكيليّ مجسّدا الحياة اليوميّة بتفصيلاتها الواقعيّة، وأنّ الكاريكاتير يجب أن يعبّر عن أحوال النّاس[17]

ويبدو أنّ الفنّ السّاخر أرتبط أشّد الارتباط بالتّاريخ، اضطر رجال الدين إلى توسيع الليبدو البصريّ للعامة، ومن ثمة زيادة (...) حصة ثقل الصّور في رونق العلامات، فقد لعبت "الطوائف المتسولة"[18] في القرن الثالث عشر ورقة الصّورة ضد **الأكليريكيين** العامة وربحت المعركة وبهذا حرك **الفرانسسكيون** Franciscan و**الدومنيكان** المسيحية من جديد[19]، وحسب ذات المصدر يؤكد أنّ "كل الهزات الشعبيّة في تاريخ الغرب(من الحروب الصليبيّة إلى الثورة الفرنسيّة) كما لو كانت عبارة عن إنفجارات تصويريّة ICONONOGRAPHIQUE، إنّها انبثاقات يصعب التحكم فيها، فقد تصاحبت الثورة الفرنسيّة بركام أو طوفان من الإنتاج العفوي، من ملصقات وكاريكاتير وأوراق اللعب..."[20]

لذا فإنّ الكاريكاتيريّين حسب **شارل بودلير** Baudelaire **.** C(1821-1867) لهم الحقّ في ممارسة مهنة مؤرّخ، وعالم الآثار والفلسفة، لهذا وجب عليهم أن يتّخذوا مكانا في الأرشيفات الوطنيّة وفي السّجلّات البيوغرافية للذاكرة الإنسانية[21]، الّتي يكتب واقعها من خلال أعين الكاريكاتيريّين بكلّ ما تحمل من تبصّر للحقائق، فلا جدال في تاريخٍ تكتبه الصّورة، وهذا ما حصل فى فرنسا وبريطانيا حيث كُتب تاريخهما بأقلام أيقونات الكاريكاتير أمثال : **فليبون**، و**هـ. دومييه** Daumier Honoré (1808-1879) في فرنسا، **وهوغارت** William Hogart (1697-1764) في انجلترا.

---

17 فهد الشعشاع طلال، فنّ الكاريكاتير (دراسة علميّة نظريّة وتطبيقيّة)، مرجع سابق، ص 30.

18 شهد القرن الثاني عشر تغيرات كبيرة في أوروبا الغربية .مع انتعاش التجارة ، نشأت المراكز الحضرية ومعها طبقة وسطى حضرية .تمت الدعوة لاتجاهات جديدة في الروحانية .أصبح إصلاح الكنيسة موضوعًا رئيسيًا للإحياء الثقافي لهذا العصر .ردًا على ذلك، ظهرت أوامر التسول الجديدة التي أسسها فرانسيس الأسيزي (1181-1226) ودومينيك جوزمان، 1170-1221) حيث كان الرهبان المتسولون مقيدون بنذر الفقر ومكرسين لأسلوب الحياة الزاهد ، والتخلي عن الملكية والسفر حول العالم للتبشير .كان بقائهم على قيد الحياة يعتمد على حسن النية والدعم المادي من مستمعيهم .كانت طريقة الحياة هذه هي التي أعطتهم اسمهم ، "المتسول" ، المشتق من الكلمة اللاتينية mendicare ، والتي تعني "التسول". ينظر:

wikiqick.com, Mendicant friar, https://ar.esc.wiki/wiki/Mendicant_friar date d'entrèe : 10/04/2021, a l'heure : 15.00

19 دوبري ريجيس، حياة الصّورة وموتها، مرجع سايق، ص71.

20 دوبري ريجيس، حياة الصّورة وموتها، مرجع سايق، ص71.

21 قاسيمي أمال،ظاهرة الإرهاب في الجزائر من خلال رسومات كاريكاتير(دراسة تحليلية سيميولوجية لصور أيوب و ديلام خلال الفترة الممتدة من جانفي 1997 الى2000 ، المشرف أحمد عظيمي، رسالة ماجستير ، جامعة بن يوسف بن خدة الجزائر1 ،كلية العلوم السياسية والإعلام، 2009-2010، ص. 34 .

إنّ حديثا من هذا القبيل يعطي للكاريكاتيرّ أهمّية في المجتمعات، لينقل الأحداث دون زيف أو تملّق، فالتّاريخ ذاكرة الشّعوب، وهو ما أكّده الكاريكاتيريّ المصريّ **جورج بهجوري** قائلا:" إنّ تاريخ الفنّ هو نفسه جزء من تاريخ الإنسان وبالتّالي تاريخ العالم، ولا يجب أن يُعامَل الفنّ على أنّه هارب من أحكام الإعدام، ولا يجب أن يفكّر أحد في هدم الفنّ أو إلغاء تاريخ الفنّ[22]، لأنه حسب الكاريكاتيريّ العراقي عمار سلمان بأنّ الكاريكاتير يحمل الكثير من المشاكل، فإذا كان واضحا فإنّه يقدم لنا معلومة تقريرية عن حدث.[23] هذه المعلومات التقريرية تساهم في تأكيد الأحداث.

5-تجليات التاريخ في ثنايا الصّورة الكاريكاتيريّة : قد تكون الرسوم الكاريكاتيرية مجرد مجموعة من الخطوط والألوان، ولكنّها خطت تاريخ العالم بأسره، هذه الصّور الّتي حملت في ثناياها بعض المحطات التاريخيّة، نذكر منها بعضا.

1.5-عالميا

الشّكل: (4) الشّكل: (5)

Source(4): https://www.britishmuseum.org/collection/image/90506001,vu:3/5/21

Source(5): Histoire de la caricature et de grotesque dans la caricature et dans l'art, tra : D'octave Sachot, paris, deuxieme édition, Adolphe de la Hayas, libraire éditeur,1875, p.218.

البريطاني **توماس وايت** Thomas wright (1810-1877)المختص في المخطوطات المصّورة أنّ أولى الرسومات التي أعطت انطباعا لوجود الكاريكاتير كانت اللّوحة الفرنسيّة الموسومة: **نكسة لعبة السويسريين**" Le Rivers du jeu des Suisses " (ينظر الشّكل:4)، والّتي طبعت سنة 1499، يذكر أنّ هذه اللّوحة أرخت لظهور الكاريكاتير في فرنسا، وهي لعبة البطاقات، وهي تحكي عن غزو مملكة نابولي، حيث شارك ملك فرنسا لويس الثاني عشر، وهنري السابع ملك انجلترا

22 موقع الشرق الأوسط ،"الكاريكاتير شارك في صنع القرار: تاريخ الإنشاء، 2013/09/30-تاريخ التصفح: 4/090 .13.46 على الساعة: 2021/https://www.middle-east-online.com/%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D9%83%D8%A7%D8%AA%D9%8A%D8%B1%D9%8A%D8%B4%D8%A7%D8%B1%D9%83%D9%81%D9%8A-%D8%B5%D9%86%D8%B9-%

23 سعدون عبد الكريم، "ملاحظات في طبيعة الرسم الكاريكاتيري، مجلة تموز 54، العدد 20، شتاء 2012، العراق، ص13.

والبابا الكسندر السادس ودوقي البندقية، ومرغريت من اسبانيا والسويسريين وغيرهم، حيث أعلن السويسريين معارضة مشروع توسع لويس الثاني عشر في المملكة.[24] فقد بدأ كل شيء مع **تشارلز الثامن**. حيث قرر ابن و**خليفة لويس الحادي عشر**، بمجرد بلوغه سن الرشد، تأكيد حقوق الأسرة الغامضة على مملكة نابولي. فعبر جبال الألب في 25 يناير 1494 على رأس 30.000 رجلا، ودخل ناجحًا إلى نابولي مرتديًا زي إمبراطور بيزنطي، في 6 يوليو 1495، وعند عودته، واجه جيشا أكبر بكثير من جيشه بالقرب من البندقية، وبعد وفاته بفترة وجيزة، تولى خليفته **لويس الثاني عشر** (1462-1515) مسؤولية الهيمنة و ملاحقة الأهداف الإيطالية، ليس فقط في نابولي ولكن أيضًا في ميلان، باسم جدته **فالنتين** Valentine Visconti. ففي عام 1499، دخل ميلان على رأس قواته، ثم سار في نابولي، وفي عام 1503، ليستأنف الأسبان هجومهم، فألحقوا بالفرنسيين عدة هزائم في Cérignole و Garigliano.[25]

فالصّورة كشفت عن حيثيات حادثة الغزو وقد ظهر في أسفل الصّورة، أسماء الشّخصيات الفاعلة في هذا المشهد. وإلى الخفة المرحة التي تحكم اللعبة الدبلوماسية بين الملوك والأمراء.

أما في القرن الثامن والتاسع عشر بلغ الكاريكاتير رواج، من خلال تتبعه للثورات الفرنسيّة وحملات نابليون، وقد رصد الكاريكاتيريين محطات مهمة في تاريخ الإنسانيّة، إذ خصص فيلبون صحيفته"كاريكاتيرCaricature"وبعدها "شاريفاريCharivari" للنشر الصرف للكاريكاتير، والّتي ضمت مجموعة من الرسامين، برعوا في تقفي خطى القصر الملكي في فرنسا وكذا حملات نابليون بالنقد اللاذع ونشر الوعي داخل المجتمع.

وقد لاحقت الريشة الساخرة نابليون بونابرت في حملاته التوسعية في كل من أوروبا والشرق الأوسط، ويظهر الشّكل (5) الاتفاق بين الوزير البريطاني William Pitt (1759-1806) **وبونابرت**، حيث رسم **جيلري** Gillray الوزير البريطاني **وليام بيت** مرتديا ملابس عسكرية بريطانية، وهو جالس إلى مائدة مع الامراطور الفرنسي **نابليون بونابرت**، كلاهما يبدو وهو يقتطع شريحة كبيرة من حلوى البودينغ، وقد نقشت عليها خريطة العالم، ويلاحظ أنّ شريحة الوزير أكبر من شريحة نابليون، وكتب في أعلى الرسم (رسالة لسانية) " **الإمبراطور العتيد، وخصمه الوزير الانجليزي، يخدمان أنفسهما**"، أحدهما يأخذ الأرض والآخر يأخذ البحر، وفق اقتراحات الإمبراطور العنيد في سبيل التصالح مع انجلترا في شهر كانون الثاني (يناير)من 1805[26]. وهذه الصّور شكلت متتالية من التاريخ. وصرحت ضمنيا أنّ الصراع كان على أشده للاستيلاء على العالم بين فرنسا وانجلترا .

2.5--عربيا

الشّكل : (6)

---

24 Thomas wright, Histoire de la caricature et de grotesque, op.cit, p.2 18.

25 Fabienne Maniére, Les guerres d'Italie(1494-1559) https://www.herodote.net/Les_guerres_d_Italie-synthese-304.php, date d'entrèe : 19/04/2021, a l'heure : 18.25

26 الأمين مروة، الكاريكاتير ..فن الخطاب الجدي في قالب السخرية، مجلة القافلة، العدد 1، مجلد 68، السعودية ، يناير /فبراير 2019.ص60.

Source : https://almanassa.com/ar/story/2327,vu le :30/4/21

تتمثل قيمة الكاريكاتير في قدرته على مقاربة الأحداث والتحولات السياسيّة والاقتصاديّة الّتي تمر بها الشعوب، وذلك نتيجة لارتباطه بالصحافة، وقد شهد الكاريكاتير المصريّ رواجا كبيرا في نقل الأحداث منذ نشأته الأولى من خلال الصّحف الساخرة على يد **يعقوب صنوع**(1839-1912).

نشرت الصّورة سنة 1879 في صحيفة " أبو نضارة زرقا " **لصنوع**، حيث يقف حاكم مصر إلى طاولة أمام أهرامات الجيزة، ويجلس مدير المزادات ممسكا مطرقة، بينما يقف في الطرف الآخر جمع من الأجانب المعنيين بالشراء، ينظرون إليه وهو يهتف" **محبي الانتيكات، الأهرامات، أبو الهول للبيع نقدا**". وهي تؤكد بصريح العبارة على أنّ **الخديوي** استنفذ كل الطرق لجلب المال ولم يبقى له إلا بيع الأهرام ، كما هو معبر عنه في الصّورة، وهي دلالة على حجم الديون. حيث يظهر ببطن منفوخ دلالة على حياة الترف والبذخ.

وقد اشتهر **صنوع** بنقده اللاذع للعائلة الحاكمة في مصر، من خلال مجموعة صحفه الهزليّة الّتي أصدرها، و تسببت في نفيه من مصر إلى فرنسا، "وإصدار قانون المطبوعات في 26نوفمبر1881:كأول تشريع للصحافة في مصر، يعطي الحكومة نفوذا أو سيطرة على أرباب المطابع"[27]، وتأتي الصّورة في سياق تدهور الاقتصاد المصري وعجز الخديوي إسماعيل(1830-1895)[28] عن تسديد ديونه، فلجأ للتفكير في بيع قناة السويس البالغ عدد أسهمها 177.642 إلى بريطانيا عام 1875 لقاء 4.000.000جنيه، وهو ثمن بخس، وقام اليهود (عائلة دي روتشلد) بشراء تلك الأسهم، وتعهد **الخديوي** بدفع فوائد سنوية لغاية 1894[29]. كما أصدر أمرا سنة 1876، وذلك بتأثير بريطانيا وفرنسا بتوحيد الديون الضخمة التي اقترضها من أطراف خارجية ذات مصالح في مصر كالبنوك البريطانية والفرنسية[30]. وقد اشتهر **الخديوي** بالبذخ وصرف مبالغ على المشروعات الضخمة وكذا الفساد الذي انتشر بين أعضاء حكومته، كما فرض الخديوي الضرائب على الفقراء[31]. للخروج من أزمته. وهذا ما أكدته الصّور الكاريكاتيرية بطريقة ساخرة.

---

27 صالح رانيا، الكاريكاتير السياسي منذ ثورة عرابي حتى ثورة 25 يناير، مكتبة جزيرة الورد، ط1 ، 2013.، ص 25.

28 إسماعيل باشا: ابن إبراهيم محمد علي، ولد في القاهرة سنة 1830، وأكمل تعليمه في فرنسا وكان متقنا للغة الفرنسية والتركية والفارسية، تولى حكم مصر سنة 1863، عمل على تطوير سكة الحديد وأكمل في عهده حفر قناة السويس، وتم عزله ونفيه إلى تركيا .

ينظر:عبد الفتاح عصام، أيام محمد علي، عبقرية الإرادة وصناعة التاريخ، الشريف الماس للتوزيع، القاهرة، د.ت، ص 202-206.

29 الرافعي عبد الرحمن ، عصر إسماعيل، ج2، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1987، ص 50.

30 صالح رانيا، الكاريكاتير السياسي، مرجع سابق، ص 33.

31 المرجع نفسه.

وقد حملت الصحف الهزليّة **لصنوع** في المهجر، محطات تاريخيّة لمصر خلال القرن التاسع عشر، ساهمت في توثيق الأحداث بالصّور، تأكيدا للتاريخ الشفوي والمكتوب في تلك الفترة من حكم مصر.

وعموما، يمكن القول أنّ الصّور الكاريكاتير، بإمكانها أن تكون شاهدة على العصر، لما تحمله من أحداث تقريرية. كما أنّ هناك بعض أنواع الصور الكاريكاتيرية، لا يمكن الظفر بأي حدث من خلالها خاصة الكاريكاتير الرمزي والتعبيري، الّذي ينتهجه الفنّان في الدول الّتي تقوض فيها حرية التعبير، هروبا من الرقابة .

الخاتمة: تلعب الوثائق أهمية في حفظ الحضارة والتراث الإنساني، وتعد الصّور أهم هذه الوثائقية ولكنها لم تنل نصيبها من الاهتمام في الأرشيفات، على الرغم من أهميتها مقارنة بنظيراتها، ويرجع ذلك إلى سهولة المعالجة الفنية للنّص على حساب الصّورة والصّورة الكاريكاتيرية خصوصا، الّتي تحتاج إلى معالجة خاصة وإجراءات معينة، حتى يتم الاستفادة منها كأوعية معلوماتية سواء ورقية أو الكترونية، في ظل التطور التكنولوجي .

وقد ساهمت الصّور الكاريكاتيرية في كتابة التاريخ، وتأكيد مجمل الأحداث الّتي رصدتها أقلام الفنانين هنا وهناك، باعتبارها ركن من الصحافة اليّومية، والّتي تهتم بتسجيل الواقع، فهي تدعم الحقيقة ف"من رأى ليس كمن سمع"، بالإضافة إلى أنّها تعكس اليوميات بشكلها الهزلي وتتجاوزها أحيانا، لتطبع في ذهن المتلقي الحدث مختصرا، وقد نقلت هذه الصّور الكاريكاتيرية الثقافة من برجها العالي إلى عموم الناس. فالصّورة والكلمة واللّون (وهي مكونات الكاريكاتير)، قد حفظت لنا تاريخا إنسانيا يمكن الرجوع إليه، وهو ما يجعل التفكير في إعادة الاعتبار إليها بوصفها من الذاكرة المرئية، فضلا على أنّها باتت من ثقافة العصر الحالي.

قائمة المراجع:

- ✓ الأمين مروة، الكاريكاتير ..فن الخطاب الجدي في قالب السخرية، مجلة القافلة، العدد 1، مجلد 68، السعودية ، يناير/فبراير 2019.ص .ص.3-89.
- ✓ البسفي محمد، من يكتب التاريخ، الحوار المتمدن، العدد 6594، تاريخ التصفح:2021/05/12، على الساعة 14.00.

HTTPS://WWW.AHEWAR.ORG/DEBAT/SHOW.ART.ASP?AID=681395.

- ✓ حجاب منير أحمد ، المعجم الإعلامي، مصر، دار الفجر للنّشر و التّوزيع، ط 2014،1.
- ✓ الحويج محمد عبد المجيد، الوثائق مفهومها أنواعها وتقسيماتها، وأهميتها في البحث العلمي، مجلة كلية الآداب، جامعة الزاوية، العدد التاسع والعشرون، 206، الجزء الثاني، يونيو 2020ا .
- ✓ دوبري ريجيس، حياة الصّورة وموتها، تر:فريد الزاهي، افريقيا الشرق، ط2، المغرب، 2013
- ✓ الرافعي عبد الرحمن، عصر إسماعيل، ج2، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1987.
- ✓ السعداوي نوال، امرأة تحدق في الشمس، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2018.
- ✓ سعدون عبد الكريم، ملاحظات في طبيعة الرسم الكاريكاتيري، مجلة تموز 54، الجمعية الثقافية مالمو، العراق، العدد 20، شتاء 2012، ص. ص. 3-148.
- ✓ سعدية نعيمة ، التحليل السيميائي والخطاب، عالم الكتب، أربد، الأردن، 2016 .

- ✓ صالح رانيا، الكاريكاتير السياسي منذ ثورة عرابي حتى ثورة 25 يناير، مكتبة جزيرة الورد، ط1 ، 2013.
- ✓ صهود محمد، مفهوم الوثيقة التاريخية بين المعرفة العالمة والمعرفة المدرسية، العدد 8، السلسلة الجديدة، كلية علوم التربية، جامعة محمد الخامس ، الرباط ، المغرب، دجنبر، 2016، ص. ص:89-130.
- ✓ عبد الفتاح عصام، أيام محمد علي، عبقرية الإرادة وصناعة التاريخ ، الشريف الماس للتوزيع، القاهرة، د.ت..
- ✓ عبيد أحمد، التحليل الموضوعي للصّور الصّحفية .القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، 2016
- ✓ فهد الشعشاع طلال، فنّ الكاريكاتير (دراسة علميّة نظريّة وتطبيقيّة) ، مؤسّسة الانتشار العربيّ ،ط1 ، 2001.
- ✓ قاسيمي أمال، ظاهرة الإرهاب في الجزائر من خلال رسومات كاريكاتير(دراسة تحليلية سيميولوجية لصور أيوب و ديلام خلال الفترة الممتدة من جانفي 1997 الى2000 ، رسالة ماجستير، الجزائر، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة بن يوسف بن خدة الجزائر1 ، ،2009-2010.
- ✓ موقع الشرق الأوسط ،"الكاريكاتير شارك في صنع القرار: تاريخ الإنشاء، 2013/09/30-تاريخ التصفح: 4/090 .13.46 على الساعة: .2021/https://www.middle-east online.com/%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D9%83%D8%A7D8%AA%D9%8A%D8%B1%D9%8A%D8%B4%D8%A7%D8%B1%D9%83%D9%81%D9%8A-%D8%B5%D9%86%D8%B9-%
- ✓ هارف علي حسين، فلسفة التاريخ في الدراما التاريخية، دار الكندي، الأردن، ط2001،1.

المراجع الأجنبية

- ✓ EncyclopaediaBritannica, volume 3 ,1768 ,
- ✓ Fabienne Maniére, Les guerres d'Italie (1494-1559) ; https://www.herodote.net/Les_guerres_d_Italie-synthese-304.php, date d'entrée : 19/04/2021, a l'heure : 18.25
- ✓ Histoire de la caricature et de grotesque dans la caricature et dans l'art, tra : D'octave Sachot, paris, deuxieme édition, Adolphe de la Hayas, libraire éditeur, 1875.
- ✓ http://www.du.edu.eg/upFilesCenter/exStore/art/1577566343.pdf , date d'entrée : 7/04/2021, a l'heure : 16.30
- ✓ wikiqick.com, Mendicant friar, https://ar.esc.wiki/wiki/Mendicant_friar, date d'entrée : 10/04/2021, a l'heure : 15.00